والإنتاجية التي يعيش في ظلها المجتمع، وبالتالي فإنه لا وجود لتلك الأخلاق الثابتة المثالية التي طالما تحدث عنها الفلاسفة المثاليون. وكذلك الأمر بالنسبة إلى التاريخ الذي يفسر تفسيراً مادياً[١٥].

وهكذا فإننا نلاحظ أن الماديين يقلبون جدلية «هيجل» رأساً على عقب ويعارضون رأيه في القيم والأفكار الأزلية الخالصة التي تسبق المادة بمفهومها الطبيعي والاقتصادي[١٦].

II ـ تتضارب المصالح المادية الاقتصادية والاجتماعية وتثير ما يسمى في الفلسفة الماركسية «بصراع الطبقات»، وليس تاريخ كل مجتمع منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا «سوى تاريخ نضال بين الطبقات، فالحر والعبد، والنبيل والعامي، والسيد الإقطاعي والقن، ورئيس الحرفة والصانع، أي باختصار: المضطهِدون والمضطهَدون، كانوا في تعارض دائم، يخوضون غمار حرب مستمرة، «حرب انتهت في كل مرة إما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره، وإما بدمار الطبقتين المتصارعتين معاً»[١٧].

وفي رأي الماديين فإن سيطرة طبقة ما ـ مثل الطبقة الإقطاعية ـ أو البورجوازية، أو البروليتاريا العالمية ـ يعني سيطرة مبادئها الأيديولوجية ومذاهبها الفكرية والثقافية والسياسية، أو بتعبير آخر فإن لكل طبقة بنيتها الفوقية التي تلائمها، ومن هنا فإن لكل طبقة فنها وأدبها الخاصين بها[١٨].

ويسلم ماركس بأن البنية العليا، بعد أن تتكون نتيجة البنية الدنيا، يمكن أن تصبح في مستوى قوة المادة فتؤثر هي بدورها في النظم الاجتماعية والحياة العامة ودعم قيم معينة أو العمل على إزاحتها، وبتعبير ماركس نفسه فإن «القوة المادية لا تقابلها إلا قوة مادية، ولكن النظرية تصبح بدورها قوة مادية منذ أن تتغلغل بين الجماهير»[١٩]. وهذا مما يدل على أهمية الفكرة النظرية في صراع الطبقات.

وقد كان للفلسفة المادية أثر كبير في النقد الأدبي بصفة عامة وفي النقد «الاعتقادي»[**] بصفة خاصة؛ إذ أن فريقاً من النقاد ـ بعد اطلاعهم على أفكار